دراسة صرفية - تركيبية لصفات المرأة في القرآن الكريم-

* فاطمة ولد حسين

توضع الحروف في قالب لغوي يسمى الصيغة. وهذه الصيغة سواء أكانت مشتقا أم مصدرا فهي التي تحدد المعنى العام وتخصصه "باعتبارها قوالب فكرية تصب فيها المعاني العامة فتجعلها على سمتها كما وكيفا"[1].

وبناء على هذا المفهوم يكون المستوى الصرفي أحد مستويات البحث اللغوي الحديث الذي تتفاعل فيه عناصره للنظر في اللغة، فيدرس خصائصها وأسرارها، ليصبح بذلك علما مواليا لعلم الأصوات لاعتماده على نتائج بحثه الصوتي.وبالتالي فإن أي تغيير يحدث في صيغة الكلمة سيؤثر لا محال في تغيير دلالاتها المختلفة .

وإذا قارنا بين مفهوم الصرف عند النحاة القدماء و المورفولوجيا عند المحدثين وجدنا تقاربا في المنهج والتصور. ويتجسد ذلك في الزيادات التي تطرأ على بنية الكلمة، فتؤدي بالضرورة إلى تغير المعنى والوظيفة، إلا أن العرب كغيرهم من الناس اهتموا بلغتهم العربية دون سواها من اللغات.

ولكي يتسنى لنا معرفة ما يطرأ على الصيغة من تغير، علينا أن نحتكم إلى وزن هذه الصيغة –الكلمة–. ولوزن الكلمات ميزان صرفي دقيق فما هو هذا الميزان؟

الميزان الصرفي هو مقياس دقيق تعرف بواسطته أحوال بنية الكلمة وحركاتها. ولقد كانت أكثر الكلمات العربية ثلاثية، جعلت الميزان الصرفي مكونا من ثلاثة أصول[2] تقابل أول كلمة بفاء وثانيها بعين و ثالثها بلام، وعند وزن الكلمة نقابل كل حرف بما يقابله في الميزان.

جامعة الجزائر 2

و المشتقات في لغة الضاد عشرة: سبعة تدل على معنى وذات أو شيء أكثر، وهي اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، صيغ المبالغة، اسم التفضيل، اسما الزمان والمكان واسم الآلة. وثلاثة أخرى تدل على معنى وزمن مجردين من الذات وهي: الفعل الماضي والفعل المضارع وفعل الأمر[3].

وهذه المشتقات لها مفاهيم، أي مدلولات ومعان تستلهمها من الصيغ الصرفية. ولكن لم تقو الدلالة الصرفية المستمدة قوتها من الصيغ تلك على القول الفصل في تحديد المعنى المنشود بدقة، فإن لها خدمة جلية في الكشف عن المعنى المقصود، باعتبارها أنها تعطينا المفاهيم الكلية التي تكون بمثابة قوالب يتخذها العرب في لغتهم للمعاني العامة، ذلك أن الألفاظ التي تصاغ على بناء واحد تؤدي وظيفة معينة كالفاعلية والمفعولية والمكانية والزمانية والطلب والمبالغة والتكثير وغيرها.

وخلاصة القول ان الصيغ الصرفية لا تتشكل إلا بالأصوات لتفضي ضرورة إلى النحو فيتلازم معها لتنظيم جملا صحيحة الدلالة.وان التقارب بين مفهومي الصرف والمورفولوجيا من حيث المنهج والتصور-كما سبق ذكره- يظهر في التغيرات التي تطرأ على الكلمات بزيادة أو نقصان حرف أو أكثر، مما يجعل الدراسة الصرفية –الصوتية تخضع للمجهر الفونولوجي على وجه التخصيص. وسيتبين لنا هذا من خلال دراستنا لبعض الآيات القرآنية التالية:

زيادة حرف أو نقصانه

المرضعة- المرضع

وصف يخص المرأة "ذات رضيع أو لبن رضاع"[4]، فالرضاع إذن لا يكون إلا للإناث، وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ)[5]، فالمرضعة هنا هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي، و المرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل: مرضعة لتدل على أن ذلك الهول إن فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة "عما أرضعت" عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل[6].

هذا ما يجعلنا نشير إلى أن (التاء) في مرضعة، قد لحقت الصفة الخاصة بالأنثى لتحدد زمنها وتبين أنها حادثة في وقت بعينه، أما إذا استخدمت هذه الصفة بصورة عامة فلا تدخل عليها التاء.

وعلى هذا الأساس اللغوي، جاءت كلمة المرضع بمعنى التعميم، للدلالة على كل امرأة تمارس عملية الإرضاع مهنة، وتطور المعنى لتصبح كلمة المرضع أو المرضاع (Biberon) وسيلة لإرضاع الأطفال الذين فقدوا اللبن من ثدي أمهاتهم. وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكده في قوله تعالى **(وإِنْ أَرَدْتُم أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَمْتُمْ مَا آتَيْتُمِ بِالمَعْرُوف)** [7]، بمعنى لا جناح عليكم إن طلبتم من المراضع إرضاع أولادكم.

وخلاصة القول أن "التاء" في المرضعة جاءت خصيصا للدلالة على الأم التي لقمت ثديها في فم الطفل، فهناك عاطفة أمومة قوية تربط الأم بابنها، بينما حذفت التاء لتعم كل امرأة تمتهن حرفة إرضاع الأطفال مقابل أجرة.

زيادة أكثر من حرف أو نقصانه

الصادقات– الصديقة– المتصدقات

الصدق هو نقيض السوء [8] والصادقون والصادقات من حصل منهم صدق القول وهو ضد الكذب، وشمل ذلك الوفاء بما يلتزم به من أمور الديانة كالوفاء بالعهد والوفاء بالنذر [9]، فالمرأة الصادقة هي التي تقول الصدق وتخلص في نيتها لله.

أ. **صديقة**: إن المعنى المعجمي هو المعنى نفسه، الذي تعنيه الكلمة السابقة (الصادقات)، وقد جاءت لتصف مريم ابنة عمران –عليها السلام– بالصديقة، فهي كبعض النساء المؤمنات المصدقات للأنبياء، المؤمنات بهم.

فالكلمة تحمل دلالة المبالغة في التصديق، وهي دلالة نستخلصها من صياغة الكلمة، فلا ريب أنها صفة متأصلة في "مريم" عليها السلام التي سلمت أمرها لله وصدقت به وبنبيه فجعل منها آية لنساء العالمين.

ب. **متصدقات**: **صيغة جمع المتصدقة**: التي تعطي الصدقة، والصدقة ما تصدقت به على المساكين[10] ، والمتصدقين والمتصدقات من يبدل الصدقة من ماله للفقراء[11] .

إن المتتبع للصيغ السابقة المتمثلة في "الصادقات- الصديقة- المتصدقات" ليتبين له أن ما يحدث من تغير في مبنى الكلمة إلا ويتبعه تغير في معناها، فكلمة الصادقات الدالة على صدق القول والعمل تختلف في دلالتها عن كلمة صديقة التي جاءت على وزن فعيلة للدلالة على المبالغة في التصديق. فزيادة الحروف فيها قد زادت دلالتها كثرة ومبالغة أيضا.بينما نقصان الحروف في الصادقات قلص من الدلالة وقيدها بمعناها المعجمي دون سواه.

أما المتصدقات فقد اختلف معناها عن سابقيها لزيادة الحروف التي تصدرتها للدلالة على الإسهام في إعطاء الصدقة والقيام بها بدافع التصديق. فتأتي كلمة المتصدقات منتجة حتمية وتلقائية لما يؤمن به الإنسان ويصدق به تصديقا.

وعلى هذا الأساس يمكننا ترتيب الكلمات، حسب دلالاتها، على النحو التالي:

الصادقات	الصديقات	المتصدقات
الصدق بالنية والقول ⟵	المبالغة في الصدق ⟵	تنفيذا لتصديقهن بالعمل

جواز تأنيث الصفات المشتركة بين الذكور والإناث

إن قاعدة تأنيث الصفات بزيادة تاء التأنيث على المذكر قاعدة سهلة، ولكن الصعوبة تكمن في الصفات التي نستخلصها في النقاط التالية:

أولا: بلفظ واحد للمذكر والمؤنث نحو (عقيم، زوج، عجوز، عاقر، طالق...)

ثانيا: بلفظ واحد للمذكر وهي للمؤنث نحو (حامل، مرضع، كواعب، حائض، قواعد، بكر عرب، حور عين، ترب، بغي ...).

إن تبرير صحة هذه القاعدة هو تخصيصها للمرأة دون الرجل، وهذا ما تدحضه النظرية العلمية في بعض المجالات- حاليا- لعدم انتسابها للمرأة فقط، فالعقم والعقر مثلا صفتان تلزمان الطرفين معا (الرجل والمرأة)، فزيادة تاء التأنيث نراها ضرورية للتمييز بين الجنسين مادام الأمر يعمهما ويخرج المرأة من دائرة التخصيص.

- **بغيا**: هي المرأة التي تعاطت الزنا بالأجر حرفة، وجاءت "بغيا" بوزن فعيل بمعنى فاعل ولذلك لا تقترن بها تاء التأنيث، فأصل بغي بغوي فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء[12]. ويؤكد ابن "خالويه" ذلك بقوله: "البغاء مصدر بَغَتْ المرأة بغاء: زنت، والبغاء جمع بغي ولا يقال بغية، واشتقاق صيغة المفاعلة فيه للمبالغة والتكرير"، فالمعنى ملتصق بالمرأة فقط مادامت تكتسب فجورها.

- **القواعد**: وصف خاص للمرأة المسنة التي تجاوزت سن الولادة والإنجاب وانقطع عنها الحيض.

- **الحائض والبكر والحامل**: صفات خاصة بالمرأة أيضا فلا داعي لتمييزها بالتاء.

- **الكواعب**: وصف لنساء الجنة لما يتصفن به من جمال الخلقة[13].

- **الكوافر**: هن المشركات، إذ وردت الكلمة في قوله تعالى: (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)[14] خصصت للنساء دون الرجال لأن الإسلام منع النساء المسلمات من تزويجهن بالكفار منعا قاطعا، أما الآية جاءت لتنهي الرجال عن تزويجهم بالكافرات، أي المشركات، فحذفت "التاء" من كافرة لوجه التخصيص.

- **الزوج**: خلاف الفرد، كل واحد من اثنين مقترنين في حال ما يسمى زوجا للآخر[15].

يفهم من هذا التعريف أن هناك تكافؤا بين الزوجين، فكل منهما زوج للآخر، وهذا إنصاف في حقهما للدلالة على الوظيفة التكاملية التي يقومان بها في الدائرة الإنسانية، ومن هذا المنظور حذفت التاء لتوصف المرأة بالزوج لا الزوجة كما ورد ذلك في أماكن عديدة من القرآن، وفي مواقع أخرى منه استعملت كلمة الصاحبة بدلا من الزوجة لضرورة اقتضاها المقام كي تبقى المعادلة الدلالية الصحيحة ترشح وظيفة التكامل بين الرجل والمرأة.

ويأتي استعمال كلمة زوج حين تكون آية الزوجية في الحياة الدنيا من السكن والمودة والرحمة هي مناط الموقف آية وحكمة وتشريعا وحكما[16]، فيقول الله تعالى **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**[17].

أما الكلمات الأخرى مثل عجوز، طالق، عاقر، عقيم... فأعتقد أنه لا مانع لتأنيثها قياسا، قال "الأزهري" "سمعت فصحاء العرب يقولون جارية بالغ، وهكذا قولهم امرأة عاشق ولحية فاصل، قال ولو قال قائل: جارية بالغة لم يكن خطأ لأنه الأصل"[18].

المستوى النحوي/التركيبي

يعرف في اللغات أن لكل منها طريقها أو طرقها الخاصة في نظم كلامها، والدليل على ذلك ما يعترضنا من مسائل لغوية متفرقة في أثناء الترجمة من لغة إلى أخرى[19].

تتضح هذه التمييزات اللغوية عند كل متكلم للغته، حيث تتكون لديه من خلال تعلمه، عادات ونظم عقلية خاصة بتأليف الجمل، كما يألف نطق أصوات لغته ونماذج مقاطعها وكلماتها وتصدر عنه نماذج تأليف الكلمات في الجمل بطريقة غير شعورية[20].

فيأتي النحو إذن ليدرس هذه الجمل التامة من ناحية العلاقات الرابطة بين مركباتها، إلى جانب ذلك فهو يهتم بالأبواب العامة لمعاني الجمل كالتقرير والنفي والاستفهام والتأكيد والقصر والحذف والتقديم والتأخير...

أما الباب الذي لا يمكننا الاستغناء عنه في الدراسة النحوية هو باب الموقعية، أي أوضاع الكلمات في تأليفها وانتظامها. فالموقع يتحكم إلى حد كبير في الإعراب وما يدل عليه من حركات وعلامات، كموقعية التقاء الساكنين وككسر آخر فعل الأمر في (اضربِ° الولد) وآخر المضارع في (لم أضربِ° الولد)[21]، وبالإضافة إلى هذا، يُراعى علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات في كل دراسة نحوية لما يؤديه التنغيم في التفريق بين التقرير والنفي، لذا كانت القراءات القرآنية عاملا من العوامل المساعدة في تحديد الدلالات من خلال النحو الذي تنحصر مهمته في الربط بين عالمي الأفكار والأصوات والاهتمام بوسائل الربط بينهما حسبما تقتضيه قوانين اللغة وسننها المتعارف عليها من طرف أصحابها.

غير أننا نلاحظ، أحيانا، خروج بعض قواعد اللغة عن نطاقها المألوف فمتى يتم ذلك؟

تخرج بعض الصيغ الصرفية (فعل، يفعل، افعل) عن منطقها لأغراض بلاغية، وهذا ما عبر عنه ابن فارس[22]، في باب الفعل الذي يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل، وبلفظ المستقبل وهو ماضي، واستشهد بقوله تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاس)[23]، أي أنتم، فجاء الفعل "كنتم" بلفظ الماضي وهو حاضر، وقوله تعالى (أَتَى أَمْرُ اللَه)[24]، بمعنى يأتي للدلالة على وقوعه المؤكد وتحقيقه وفي قوله (واتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَيَاطِين)[25]، جاء في صيغة المستقبل وهو يدل على الماضي.

والأمر نفسه نجده متجسدا في باب المفعول أين تكون فيه صيغة الفاعل دالة عليه، كما جاء في قوله تعالى (لا عَاصِم اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ الله)[26]، للدلالة على المعصوم وتقول "سر كاتم أي مكتوم"[27].

واعتمادا على ما تقدم ذكره، يمكننا استخراج زمنين يحددان دلالة الفعل في اللغة العربية وهما:

- زمن متعلق بالصيغة و يسمى بالزمن الصرفي.
- زمن متعلق بالسياق و يعرف بالزمن النحوي[28].

من هذا المنطلق، لم يستطع علماء اللغة المحدثون[29] ، أن يجعلوا حدودا يمكنها أن تميز بين النحو والدلالة، فقد أصبح واضحا بعد تطور النظريات اللغوية وخاصة نظرية النحو التحويلي التوليدي أن تثبت طبيعة العلاقة الحميمة التي تجمع بين الظواهر النحوية والدلالية، وأن يتكامل المعنى باتحاد العنصرين دون إلغاء واحد منهما، فتؤخذ في الحسبان العلاقات الدلالية بين الكلمات في الجملة، وأن تزود بقواعد اختيار هذه الكلمات التي تخصص لسياق الجملة المناسب لها. وهذا ما سنوضحه في العنصر الموالي "المصاحبة اللغوية" (Collocation des mots).

يفهم من المصاحبة اللغوية، ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية تنصهر فيها دلالات الكلمات في حالة الإفراد، ويتجلى هذا في التحليل البنوي الذي يهتم بتوليد معنى جديد يفهم من مجموع الدلالات الجزئية للعناصر الموجودة في التركيب الواحد[30] . فهو نتاج هذا التركيب الذي يتسم بالانسجام والتلاؤم، وعدم تنافر المفردات في اختيارها وموقعها في الأماكن المناسبة لها لتحقيق هدفها التواصلي.

ويظهر هذا الارتباط أساسا في السياق الذي ترد فيه الكلمات وتكون علاقة المصاحبة اللغوية أكثر ما تكون بين الاسم والصفة، والمضاف والمضاف إليه، وهما حالتان يطلق عليهما بالتوارد[31] وكذلك بين الفعل والمصدر وحرف الجر ويطلق على هذه الحالة بالتلازم[32].

لقد عمد اللغويون العرب القدامى[33] في مواطن عدة من الدراسات اللغوية إلى معالجة قضية تأليف الجملة، وأشاروا إلى خصائصها الدلالية التركيبية من "استقامة الكلام واستحالته"[34] وذلك في جملة من العلاقات بين الوحدات المعجمية في السياق والمعنى الإجمالي الذي نحصل عليه من مجاورة الكلمات فيما بينها. ومن أبرز الأبواب في ذلك ما ورد في "الكتاب" "لسيبويه" تحت عنوان "باب الاستقامة من الكلام والإحالة". فقد اهتم بمعالجة التفكير الضمني لمسألة التركيب الإسنادي الذي حصره في تحقيق سلامة الكلام المبني على عدم تنافر مضمون العناصر في الجملة الواحدة، ووضعها في مواقعها اللائقة بها. وكما هو ملحوظ فإن استقامة الكلام تعتمد على مدى تلاؤم العنصرين الإسناديين (المسند "م") و(المسند إليه "م.إ") دلالة و تركيبا، فيعطيان جملة

إسنادية يمكن تلخيصها كالتالي:

ت م ⟸ ج إ = (م) + (م إ) + مفع

يمثل هذا الشكل مدى تجانس عنصري الدلالة والنحو وتفاعلهما في العربية، انطلاقا من توافق وتلاؤم عناصرها في السياق، لإعطائها كلاما مستقيما نحويا ودلالة.

أما المحال، فهو التركيب الذي لا يحتوي على إسناد مقبول، أي أن هناك تنافرا ملحوظا في المستوى الدلالي، مما يؤدي إلى قراءات دلالية لا تعادل شيئا، أي تساوي صفرا[35] مثل "اشتعل الثلج نارا"، فالعبارات التي تخضع لهذا الصنف من الكلام لا تفيد شيئا بالنسبة للمخاطب.

وفي ضوء هذه المعطيات، يمكننا الاستدلال برأي "الحاج صالح" الذي أكد أنه "لابد أن نشير إلى أن النحو العربي هو قبل كل شيء أصول وقوانين تضبط التراكيب السليمة مع بيان مدلولاتها الوضعية"[36]، فهو يوضح لنا تزاوج عنصري الدلالة والنحو في اللغة العربية، وكذلك في اللغات جميعها التي يستعملها متكلموها لأداء واجبهم التواصلي- الإفهامي.

وقد وجدت هذه المعايير التي وضعها سيبويه منذ عصور بعيدة والمتعلقة بنجاعة المتكلم في التبليغ، ضمن قواعد جماعته اللغوية، صداها عند العالم اللغوي البريطاني "فيرث Firth" الذي عالج موضوع العلاقة البنوية السياقية بين المفردات المعجمية ضمن ما سماه "بالمصاحبة اللغوية"[37]، ولما ذهب إليه "شومسكي" "Chomsky" في النظرية التحويلية المسماة بـ"المعيار النحوي "Grammaticalité" والمعيار القبولي "Acceptabilité"[38] مشيرا في ذلك إلى أن هناك مقاييس عديدة نستطيع بواسطتها أن نحدد صحة الجملة أو خطأها، فهناك الصحيح والمقبول وغيرهما[39].

وفي هذا المجال، لا تعد الجملة كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقا لما يلي:

- قواعد النحو.
- توافق الوقوع بين مفردات الجملة.

– قبولها من طرف أبناء اللغة و تفسيرها تفسيرا ملائما[40].

وعليه لا بد للنص أن يكون متكاملا دلالة تسهم في بنائه كل وحدة من وحداته الجزئية، فلا تفهم في ذاتها ولذاتها، بل تكشف عن قيمتها في الموضوع الذي تشغله من النص، فتؤثر في تحديد مواضعها وتوقعاتنا لها.

إن التحليل نفسه حول مسألة المصاحبة اللغوية نجده عند اللغويين الذين جاؤوا بعد "سيبويه" كـ"ابن جني"[41] الذي عرض في آخر الباب من كتابه "الخصائص" إلى "المستطيع والمحال"، وقد عالج فيه أوجه الاستقامة والإحالة موحيا في ذلك إلى إمكانة التعليق التركيبي بين أبنية اسنادية ممكنة[42]. وتُعرف هذه العلاقات –المصاحبة اللغوية– الاختيارية للمفردات في السياق بتلاحم المفردات وتآنسها في التراكيب. ومن هذا المنطلق يستطيع المتكلم تقديم المعنى بطرق مختلفة، عن طريق توزيعه للإمكانات النحوية ذات الطبيعة الاختيارية "[43]. وقد عنى بها علماء اللغة المحدثون وسموها بالانسجام[44] Compatibilité، لأنه يسعى إلى تحقيق عدم التناقض بين المكونات الدلالية ذات الصلة بالعناصر المعجمية في المجموعات التوافقية Acceptabilité حسب المعيار القبولي المولد في النحو. وهذا آخر ما توصل إليه "شومسكي"، الذي أدمج القوانين الانتقائية أو الاختيارية للمفردات مع القواعد النحوية العامة، مستهدفا في ذلك تطور تفسير الظواهر اللغوية المختلفة بجملتها.

انتقاء الكلمات و التوافق الإخباري

إن التعليق والتوافق أثران من أثر النمط في تركيب الجمل. وما يجعل السياق مترابطا ومؤثرا هو انتقاء الكلمات وتراصها واختيار مواقعها لإحداث تماسك وتوافق بينها.و القرآن الكريم يثبت لنا مدى صحة هذا القول لما ورد فيه من كلمات مختارة وظفها، دون غيرها،توظيفا حسنا ،لتعبر عن اغراضها الدلالية التي هيأها لها المقام، فأفادت بها المتلقي و أثرت فيه أيما تأثير.و من جملة الكلمات التي انتقاها القرآن الكريم للدلالة على صفات المرأة ما يلي:

بغيا: إن اختيار كلمة "بغيا"في الآيتين الكريمتين التاليتين حيث يقول الله تعالى:

(وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)[45] ويقول أيضا (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) [46] لتأكيد واضح على طهر أصل مريم ووالدتها -عليهما السلام- بنفي الزنا والفجور عنهما. وإن تأملنا للآيتين يجعلنا نقف عند الدقة التي نظمتا بها، ففي التركيب تحكم في انتقاء الكلمة السائغة وإصابتها للمعنى، فلو غيرنا الكلمة بكلمة أخرى لتكون أحسن منها تأليفا وموقعا وسدادا ما تهيأ لنا ذلك، وهذا وجه من وجوه الإعجاز في النظم القرآني.

أما كلمة "عقيم" و"عاقر"؛ فقد تبين لنا من دراستهما ما يلي:

- تحدد الكلمتان معنييهما بدقة.

- تؤكد لنا وجود بعض الفروق الدلالية بينهما، وإن كانتا من المترادفات ، فالكلمتان إذن تثبتان لنا بقوة مدى صحة دلالتيهما المستعملتين في النص القرآني من أجل تبليغ مفيد يأنس له المخاطب العربي الفصيح ويؤثر فيه.

يقول الله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي **عَاقِرٌ** قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)[47] فكلمة عاقر توحي لنا أن امرأته يمكنها أن تنجب. فقد دعا الله عز وجل فقال (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي **عَاقِرًا** فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا)[48]، ففي دعائه هذا توقع بأن الله تعالى سيستجيب له، لكن مع ذلك نجده مستغربا من الأمر الذي فوجئ به عندما بشر بمجيء ابنه يحي.

أما العقم "عقيم" فهو داء لا يبرأ منه ولا نتيجة من ورائه، لأن الطب الحديث يعالج العقر لكن العقم أمر آخر قد يستعصى فيه العلاج. وفي القرآن نلمس هذه الفروق الدلالية التي تتضمنها الكلمتان، حيث أن "عاقر" جاءت في دعاء زكريا (عليه السلام) لما كان يتوقعه من استجابة من ربه في إرزاقه ولدا يخلفه. أما العقم "عقيم" يوجب وجود سبب يحول دون النسل من داء أو شيخوخة فيمنع حدوث الأثر. وهي في السياق القرآني جاءت مقرونة بكلمة عجوز دلالة على الكبر والعجز واليأس.

فلكل كلمة حيث وضعت دلالة خاصة تميزها عن صاحبتها، فلو استبدلناها بغيرها لاختل المعنى وإن بدت ظاهريا أنها متقاربة دلالة مع الكلمة الأخرى.

ودعا القرآن الكريم إلى استخدام اللفظ المناسب في مكانه المناسب في قوله تعالى (قَالَتْ الأَعْرَاب آمَنا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ولَما يَدْخُل الإِيمَان فِي قُلُوبِكُم) [49] ، وفي هذا الاستخدام السليم دقة تصيب حقيقة المعنى دون لبس أو تمويه.

يقول الله تعالى (وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللائِي لَمْ يَحِضْن وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَق الله يَجْعَل لَهُ مِن أَمْرِهِ يُسْرًا) [50] .

إن المتمعن في هذه الآية يفهم لأول قراءته لها، دلالة واحدة تتمثل في انقطاع الحيض عند المرأة، إلا أن استعمال عبارة (وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ) ليست هي العبارة (وَاللائِي لَمْ يَحِضْن) والاختلاف بينهما يكمن في أن الأولى يقصد بها النساء العجائز المسنات اللائي لا يرجون إنجابا والثانية يقصد بها الشابة – عكس العجوز– التي لم تحض بعد.

هذا ما يراد به انتقاء الكلمات وتوافقها في الآيات القرآنية والتي تؤدي دلالة دقيقة تخضع لمبدأ استقامة الكلام وعدم تنافره.

الزوج والصاحبة

لم ترد كلمة الزوجة للدلالة على المرأة المتزوجة، بل ذكرت في القرآن بكلمة "زوج" لتحمل في طياتها سمات دلالية تجعلها تفوق كل تصور يمكن للإنسان أن يتصوره إزاء المرأة الزوج.

فالزوج تتضمن معنى التكافؤ والتكامل مع الزوج – الطرف الآخر– ليتساويا في حقوقهما وواجباتهما في الدنيا والآخرة، فلا نعثر على آية قرآنية واحدة لم يذكر فيها الزوجان أو الأزواج، وإن جاءت الكلمة منفردة فإن الله يوصي بها الآخر خيرا. فهي تحمل معنى التكريم التشريف، أما التفاوت حينئذ يكون في الاختصاصات الوظيفية وليس في القيم الإنسانية.

ويظهر هذا جليا في الآية الكريمة حيث يقول الله تعالى مخاطبا آدم وحواء -عليهما السلام (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا)، ثم يقول (وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[51].

وعندما أراد الله سبحانه وتعالى أن يوظف لنفسه كلمة الزوج المصاحبة لزوجها والمعاشرة له في مراحل حياته اليومية، عدل عن استعمال "الزوج" إلى "الصاحبة" كي لا يستخدم كلمة الزوج لاعتبارات ذكرناها قبل.

فإن اختيار الكلمات وائتلافها في النظم القرآني يدفعنا إلى تصنيف تراكيبها لتبين لنا علاقة المصاحبة اللغوية التي تتمثل في ارتباط عدد من الكلمات في تركيب معين، تنصهر فيه دلالات الكلمات الخاصة في حالة الإفراد، ثم يتولد عنها معنى جديد عام يتوج الدلالات الجزئية والعلاقات التي تجمعه في تركيب واحد.

ويتجلى من هذه التراكيب اللغوية ظاهرة المصاحبة اللغوية التي تستدعي فيها الكلمة كلمات أخرى ترافقها لأداء المعنى الذي تهدف إليه، فإذا بُتِر جزء منها اختلفت معه المعادلة التي تعطي للتركيب توازنا دلاليا يصل عن طريقها الخبر إلى المخاطب فيؤثر فيه.

ولإثبات ذلك سيتضح لنا من خلال الآيات القرآنية التالية مدى تلاحم العبارات ومصاحبتها لغويا لتشكيل معنى واحد ومفيد لا يمكن تجزئته

- **حور عين**: تقترن كلمة حور بعين لإجلاء دلالة جمال العين الطبيعي.
- **قاصرات الطرف**: وجود كلمة قاصرات تستدعي مصاحبة الطرف(عين) للدلالة على الحياء والوفاء للزوج.
- **حور مقصورات في الخيام**: (حور) هنا نساء الجنة الجميلات اللائي ينتظرن قدوم أزواجهن، لكن هذه العبارة تحتاج إلى توضيح أكثر فكلمة الخيام تفرض وجودها في هذا المقام لتبين لنا مكان مكوث هؤلاء النساء.

وظفت كلمة خيام للدلالة على المأوى الذي كان يألفه الإنسان العربي، لأن لغة القرآن جاءت معبرة عما كان معروفا ومتداولا في ذلك العصر.

- **خيرات حسان**: لا بد لكلمة خيرات، وهن نساء الجنة، أن تصاحبها كلمة أخرى تساويها في قيمتها الدلالية حسنا وجمالا وهي الحسان.
- **المحصنات الغافلات**: هن الأزواج المهتمات بمهام عائلاتهن وشؤون بيوتهن فمن الطبيعي أن يكن غافلات عما يحاك ضدهن زورا وبهتانا.
- **متخذات أخدان**: تنصهر الكلمتان في قالب واحد لإعطاء دلالة واحدة تفيد معنى الزنا سرا.
- **المؤمنون والمؤمنات/** بعضهم أولياء بعض.
- **المنافقون والمنافقات/** بعضهم أولياء بعض.

نلاحظ في الآيتين الكريمتين السابقتين، أن التركيب اللغوي في الجزء الأول من الآية الأولى متناقض ومختلف عما هو في الآية الثانية وإن اتفقا في التركيب والدلالة في الجزء الثاني منهما. وبالتالي فالمصاحبة اللغوية تفرض على الآيتين أن تتخذ كل منهما اتجاها خاصا بها مغايرا للآخر فتنقله للمخاطب نقلا صحيحا وملائما لما يراد تبليغه.

- **لأمة مؤمنة خير من مشركة**: عند وقوع التخيير تقتضي المصاحبة اللغوية أن يكون المخيَر مختلفا عن المخيَر عليه، وإن انعدم ذلك لما استقام الكلام.
- **عصم الكوافر**: يفهم من تلاحم الكلمتين دلالة النهي عن بقاء الأزواج الكوافر في عصم المؤمنين أي في بيوتهم، وهو في الوقت نفسه يحث على عدم التزويج بالكوافر حتى يدخل الإيمان قلوبهن.

وتمثل المصاحبة اللغوية في هذا المجال مدى تجانس عنصري الدلالة والنحو وتفاعلهما في اللغة اعتمادا على تجانسهما وتوافقهما في السياق، لإعطائهما كلاما مستقيما نحوا ودلالة.

وفي ضوء ما جاء في الدراسة الصرفية التركيبية يمكنا القول إن القرآن الكريم يعد مفجرا للعلوم اللغوية ، و هو المادة الأساس التي أنتجت الدراسات فيها مباحث لغوية مختلفة جعلت القارئ يحتذي أساليب العرب في كلامهم و سننهم لإبانة معانيها المختلفة بوسائل متعددة و لا يتم ذلك إلا بفهم معاني القرآن و ما تنطوي عليه تعابيره من أغراض و مقاصد شتى.

الإحالات

[1]النحاس (مصطفى): التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية والتعبيرية، مجلة اللسان العربي، عدد 18 جزء 18، المملكة المغربية الرباط، 1980، جزء 1، ص39.

2 - السيوطي جلال الدين: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح عبد العالي مكرم، دار البحوث العلمية الكويت 1979، الجزء 6، ص234.

3 - عباس حسن: النحو الوافي، الجزء 3، ص182.

4ابن منظور: لسان العرب، مادة (رضع).

5 سورة الحج، الآية 02.

6-الزمخشري: الكشاف، المجلد 3، ص 4.

7-سورة البقرة، الآية 233.

8- ابن منظور: لسان العرب، مادة (صدق).

9- محمد الطاهر بن عشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء 22، ص 21.

10- المرجع السابق:لسان العرب، مادة (صدق).

11- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء 22، ص 22.

12- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الجزء 16، ص 290.

13- هناك صفات ترادف كواعب وهي: الناهد والفالك- فالناهد الجارية إذا كعب ثديها وأشرق، والفالك الجارية التي استدار ثديها قيل: التفليك ثم النهود ثم الكواعب.
أنظر:ابن منظور، لسان العرب، مادة (كعب).

14- سورة الممتحنة، الآية 10.

15- محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، الجزء 1، ص 428.

16- صلاح عبد الغني محمد: الزواج والحياة الزوجية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى 1998، ص11.

[17]- سورة الروم، الآية 21.

[18]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (بلغ).

[19]- من سنن العربية، بدأ الجملة بالفعل قبل الفاعل، هذا ما لا نجده في اللغة الفرنسية التي تبدأ بالفاعل قبل فعله، كما تقدم اللغة الإنجليزية الصفة قبل الموصوف وهو ما لا يتوافق مع العربية...الخ.

[20]-السعران محمود: علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف فرع الاسكندرية، مصر،ط1،ص 1962، ص204.

[21]-تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، ص 228.

[22]- ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 219-220.

[23]- سورة آل عمران، الآية 110.

[24]- سورة النحل، الآية 1.

[25]- سورة البقرة، الآية 102.

[26]- سورة هود، الآية 43.

[27]-ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ص 220.

[28]- مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، بيروت طبعة 1، 1964، ص 141-160.

[29]-على رأسهم نعام شومسكي: رائد المدرسة التوليدية التحويلية.

[30] Robins, linguistique générale, une introduction, p 68.

[31]- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 331.

[32]- المرجع نفسه والصفحة 331.

[33]-من بينهم: سيبويه الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، طبعة 2، 1977.

[34]- المرجع نفسه، ص 25.

[35]- الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب، محاضرة مرقونة ألقاها في ملتقى اللسانيات بكلية التربية بجامعة الرباط المغرب، 1990، ص 21.

حيث يرى أن معالجة سيبويه للمصاحبة اللغوية للتراكيب الصحيحة وغير الصحيحة هي إشارة إلى النحو العربي وليس سوى دراسة الجمل الأصولية.

[36]- الحاج صالح: المرجع نفسه، ص 21.

[37] S.Ulmann, *Meaning and style,* Oxford University Presse, Oxford, 1973, p.9 ; R.H. Robins, *Linguistique générale, une introduction*, Armand Colin paris 1973, P 9.

[38] N. Chomsky, *Structures syntaxiques,* Le Seuil, Paris, 1969, p. 15.

أنظر:

- عبد المجيد ثلجي: إسهام العرب في اللغويات المعاصرة، مجلة البرمك، الأردن، العدد 17، 1986، ص 25 وما بعدها

- [39] N.Chomsky, idem, p.15, -

[40] - أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص 77.

[41] - ابن جني: الخصائص، الجزء3، ص 328.

[42]- المنصف عاشور: من المعاني النحوية في اللسانيات العربية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العددان 135-136 تموز أب 1982 ص 102.

[43]- محمد عبد المطلب: النحو عند عبد القاهر و شومسكي، مجلة الفصول تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، المجلد الخامس (5)، العدد الأول، أكتوبر نوفمبر/ ديسمبر 1984، ص 32.

[44]- جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، 1987 ص 119.

- الانسجام بين المفردات المعجمية والقواعد.
- امرأة حبلى و فرس حبلى ← ذات دلالة ← كلام مستقيم.
- الرجل حبلى والجواد حبلى = 0 محال لأن عنصر الأنثى غير متوفر فيهما.

[45]- سورة مريم، الآية 20.

"لم أك" فعل مضارع ناقص مجزوم وعلامة جزمه السكون، وماضيه كان الناقص يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وأصله يكن حذفت نونه للتخفيف.

[46]- سورة مريم ، الآية 28.

[47]- سورة آل عمران ، الآية 40.

[48]- سورة مريم، الآية 5.

[49]- سورة الحجرات، الآية 14.

[50]- سورة الطلاق، الآية 4.

[51]- سورة البقرة، الآية 35.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية حَفْصٍ عن عَاصِمٍ.

ابن جني أبو الفتح عثمان

- *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت (دت) .
- *المحتسب*، تحقيق علي الجندي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفاتح إسماعيل شبلي، القاهرة، 1368هـ الموافق لسنة 1948م.

ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي

- *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*، تحقيق السيد محمد صقر مطبعة عيسى البابلي الحلبي، القاهرة، 1977.

ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)

- *لسان العرب*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،(دت).

بن عاشور محمد الطاهر

- *تفسير التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس، أفريل 1984.

أحمد مختار عمر

- *علم الدلالة*، مكتبة دار العربية للنشر والتوزيع، الكويت، طبعة 1، 1982.
- *من قضايا اللغة والنحو*، عالم الكتب، القاهرة، 1974.

تمام حسان

- *الأصول*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
- *مناهج البحث في اللغة*، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986.
- *اللغة العربية معناها ومبناها*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979.

ثلجي عبد المجيد

- إسهام العرب في اللغويات المعاصرة، مجلة *البرمك*، العدد 17، الأردن، 1986.

الحاج صالح عبد الرحمان

- *المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب* محاضرة مرقونة ألقاها في ملتقى اللسانيات بكلية جامعة الرباط، 1990

حسن عباس

- *النحو الوافي*، دار المعارف، طبعة 7، 1986.

الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي)

- *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، دار المعرفة، بيروت.

السعران محمود

- *علم اللغة، مقدمة للقارئ* العربي، دار المعارف، فرع الإسكندرية مصر، طبعة 1، 1962.

السيوطي جلال الدين عبد الرحمان

- *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (دت).

- *الإتقان في علوم القرآن*، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، طبعة 3، 1951.

- *همع العوامع في شرح الجوامع*، تحقيق وشرح عبد العالي مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، 1979.

- *الأشباه والنظائر*، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة، 1975.

صلاح عبد الغني محمد

- *الزواج والحياة الزوجية*، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الجزء الثاني، الطبعة 1، 1998.

الطالبي محمد

- *المخصص*، لابن سيدة، دراسة دليل، المطبعة العصرية، تونس، 1956.

عبد المطلب محمد

- النحو عند عبد القاهر وشومسكي، مجلة *الفصول* تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، المجلد الخامس (5)، العدد الأول، أكتوبر/نوفمبر، ديسمبر 1984.

ليونز جون

- *اللغة والمعنى والسياق*، ترجمة، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد1987.

المخزومي مهدي

- *في النحو العربي نقد وتوجيه*، بيروت، طبعة 1، 1964.

المنصف عاشور

- من المعاني النحوية في اللسانيات العربية، مجلة *الموقف الأدبي*، العددان 135-136، تموز-آب 1982.

النحاس مصطفى

-التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية والتعبيرية، مجلة *اللسان العربي*، عدد 18، جزء 18، المملكة المغربية، الرباط، 1980.

المراجع الأجنبية

- CHOMSKY Noam, *Structures syntaxiques*, Le Seuil, Paris, 1969.

- ROBINS R.H, *Linguistique générale : une introduction*, Armand Colin, Paris, 1973.

- ULMANN S, *Meaning and style,* Oxford University Press, Oxford, 1973.